تونس.. بلا وسط ولا يسار

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

في البحث عن الخلاص من أزماتها لا تجد تونس سوى واجهة واحدة، وهي واجهة اليمين الليبرالي، على المستوى الاقتصادي. وسياسيا، تقلص التنوع السياسي الممثل لأكثر من 200 حزب إلى نوع واحد هو اليمين الإسلامي ممثلا في حركة النهضة، التي تجد في كل أزمة من تتحالف معه من بقايا الحزب الذي قاد الدولة الوطنية في العقود الأخيرة، وهو حزب ليبرالي بهوية فضفاضة، فهو يمين ووسط وأحيانا يرفع شعارات الطريق الثالث الخاصة بالعدالة الاجتماعية، دون أن يحقق منها سوى بعض الملامح الصغيرة لاستثمارها في المزاد السياسي.

وإذا كانت حركة النهضة قد استمرت في لعب دور المحرك المحوري، فليس لقوة فيها، ولكن لغياب خصوم حقيقيين يمكن أن ينافسوها على كسب ثقة الشارع. مع العلم أنها حركة ليبرالية براغماتية أعلنت منذ 2012 عن تخليها عن مطالب تطبيق الشريعة و"الإسلام هو الحل"، وصارت تحمل نفس جين الليبرالية المشوهة التي تبنتها أحزاب التحرير الوطني في المنطقة.

النهضة تقاتل تحت جبة التاريخ وبأفكار وقيم من خارج مرجعيتها الفكرية.

كان الأمل معقودا في انتخابات 2014 على بناء مشهد سياسي قائم على التوازن بين الحركة الإسلامية وحزب نداء تونس، الذي أسسه الراحل الباجي قائد السبسي تحت ضغط شعبي من الفئات المتخوفة من صعود الإسلاميين وكسر النمط الاجتماعي القائم على الانفتاح.

> **لا يمكن الحديث عن جبهة موحدة تقف في وجه الإسلاميين الذين يتمركزون الآن في موقع الحزب الليبرالي البراغماتي الباحث عن الاعتراف الدولي به كقوة محلية جاهزة للاستخدام والتوظيف بالمرونة الكاملة**

لكن هذا الأمل سقط سريعا مع أول اختبار، حين اضطر قائد السبسي إلى التحالف مع النهضة لتكوين حكومة الضرورة، التي فرضتها توازنات البرلمان و"نصائح" جهات خارجية، تريد اختبار قدرة الإسلاميين على تقديم التنازلات. لقد تشظى حزب نداء تونس إلى أجزاء كثيرة، وما يزال هذا التشظي يطارد المنشقين عنه رغم تغير الأسماء والفاعلين، وتغير الشروط في حركة عبثية لا تحقق سوى هدف وحيد هو إظهار أن حزب النهضة هو الحزب الوحيد في البلاد، الذي يمكن للخارج، دولا وجهات مانحة، التعامل معه.

وفيما يميل البعض إلى نظرية المؤامرة ويعتقدون أن النهضة تشتغل على إضعاف خصومها، لكن الواقع يقول إن مجموعات وسط اليمين ليست مجموعات حاملة لبرامج أو أفكار كبرى تمكنها من وضع مقاسات لتحالفاتها والتفريق بين الخصم الثانوي والاستراتيجي، وهذا ما يفسر التجاءها إلى النهضة دائما وهي تعرف أن الحركة الإسلامية هي أكبر مستفيد من حالة التشظي.

قد يكون تلاقي أرواح، فالإسلاميون ووسط اليمين ليبراليون فكرا وسلوكا، وبات واضحا للعيان أنهم الأكثر قدرة وتلونا على مجاراة النموذج الاقتصادي الذي تفرضه الصناديق الدولية المانحة، واستعدادهم لقيادة "الإصلاح الهيكلي".. لكن الصحيح، أيضا، أن مجموعات وسط اليمين تتشكل الآن في تونس، وفق مصالح أشخاص انتهازيين، يبحثون عن مكاسب سريعة بالتحالف يمينا ويسارا.

يتهم منشقون عن الكتلة الوطنية، وهي منشقة عن حزب "قلب تونس"، النهضة بأنها كانت وراء تفكيك كتلتهم بهدف الاستحواذ عليها وتوسيع التحالف البرلماني الداعم لرئيس الحكومة هشام المشيشي، وهو ادعاء هدفه التبرير والتغطية على سبب العلة الرئيسي، وهو سعي قيادات في هذه الكتلة، قبل التشظي وبعده، إلى تحقيق مكاسب شخصية لم يحصلوا عليها في الحزب الأصلي، الذي صعدوا ضمن شعاراته، ويبحثون عنها لدى مجموعات تناقض الأفكار التي يحملونها.

وتقول تسريبات إن رئيس الحكومة الأسبق مهدي جمعة يعد لتأسيس حزب جديد على أنقاض حزب البديل، وأن الحزب الجديد ستكون مهمته الأولى توحيد "الدساترة" (الذين يحملون أفكار حزب بورقيبة الحزب الدستوري)، وأن الحزب الجديد يحوز على دعم خارجي يهدف إلى بناء قوة وازنة لمواجهة الإسلاميين.

والمفارقة، أن هذا الحزب، الذي يحمل عنوان التوحيد، سيكون هدفه الأول ضرب الحزب الدستوري الحر، الذي تقوده عبير موسي، وتقديم خدمة مجانية لحركة النهضة التي لم تخف انزعاجها من صعود عبير موسي في الأشهر الأخيرة، خاصة بعد نقل المواجهة إلى البرلمان.

كما سيتقاطع الحزب الجديد مع "الجبهة الوسطية"، التي يعمل على تأسيسها الوجه التاريخي اليساري القومي أحمد نجيب الشابي، بالتعاون مع شخصيات عملت في نداء تونس سابقا مثل سلمى اللومي، الوزيرة في عهد قائد السبسي ورضا بالحاج.

وبالنتيجة، لا يمكن الحديث عن جبهة أو قوة مدنية ليبرالية موحدة تقف في وجه الإسلاميين الذين يتمركزون الآن في موقع الحزب الليبرالي البراغماتي الباحث عن الاعتراف الدولي به كقوة محلية جاهزة للاستخدام والتوظيف بالمرونة الكاملة.

ولا يختلف الأمر كثيرا عند الوسط الاجتماعي الذي يعاني من غموض الأفكار والبرامج التي يدافع عنها ممثلوه (أساسا التيار الديمقراطي الذي أسسه الزوجان محمد وسامية عبو، وهو فرع منشق عن حزب الرئيس الأسبق محمد المنصف المرزوقي).

وأزمة هذا التيار، الذي يراهن كثيرون على أنه يمكن أن يؤسس لطريق ثالث حقيقي خاصة مع تراجع اليسار وانكفائه، هي نوعية الزعامة التي تتصدر المشهد سواء المرزوقي أو محمد عبو، وهي زعامة تقوم على اختزال مسار النضال لأجل العدالة الاجتماعية في القيادة، وهو ما قاد إلى انشقاقات كثيرة، وغياب التقييم، فضلا عن خسارة تحالفات كان يمكن أن تضع أرضية دنيا لكتلة تاريخية من أهم مهامها فرز قوى الثورة الصاعدة، وبينها الإسلاميون، على قاعدة النضال لتغيير الوضع الاجتماعي وفق محرك العدالة الاجتماعية.

ورغم الدور المؤثر لحركة النهضة الإسلامية في عرقلة حكومة الفخفاخ، لكن التيار الديمقراطي الذي كان يقود الحكومة عمليا بأفكاره ومعاركه خاصة الحرب على الفساد كان يمكن أن يزيح الكثير من الأشواك في طريق معركته الأهم، وهي وضع الثورة/ الدولة على طريق العدالة الاجتماعية وتحكيم القانون وتكافؤ الفرص.

لقد كشف الظهور الأخير لمحمد عبو، والذي بدا فيه يائسا ومحبطا، ولجأ فيه لاتهام الشعب بالتقصير والتطبيع مع الفساد، أن أزمة الطريق الثالث، كما اليسار، هي غياب الزعامة الباحثة عن كتلة تقود التغيير بدل رهن التغيير لشخصيات تطبعه بأمزجتها وحساباتها، ولو كانت شخصيات ثائرة ولديها سجل نضال سياسي قوي.

ويحتاج مسار التغيير، وفق ما يشير إلى ذلك أونتوني جيدنز، صاحب "الطريق الثالث"، لأن يراجع الديمقراطيون الاجتماعيون وجهات نظرهم المسبقة باستمرار بصورة أكثر تدقيقا وشمولا مما يفعلونه الآن.

تعافي ترامب وإصابة كلينتون

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

حدثان رئيسان ميّزا مجريات أحداث الأسبوع الماضي في العاصمة الأميركية واشنطن، وتداعت لتأثيرهما الأوساط الدولية في آن.

الأول هو تماثل الرئيس الأميركي دونالد ترامب للتعافي من إصابته بجائحة كوفيد – 19 في فترة قياسية، وإعلان طبيب البيت الأبيض الخاص شون كونلي عن إمكانية عودة الرئيس إلى نشاطه العام وفعاليته في حملته الانتخابية لأنه لم يعد، فيزيائيا، ناقلا للعدوى بفايروس كورونا المستجدّ.

> **بعكس الموقف الملتبس للديمقراطي جو بايدن الضعيف والمتردد صاحب الخطوط الحمراء التي انتهكت، هناك وضوح بارز في موقف الرئيس ترامب تجاه إيران عدونا الأول في الشرق الأوسط الذي عاثت فيه قتلا وفسادا**

سرعة شفاء الرئيس الأميركي إثر إصابته بالفايروس القاتل، والذي قضى على أكثر من مليون ضحية في العالم حتى تاريخ كتابة هذه السطور، وأصيب به 27.6 مليون من البشر، كانت مسار أخذ وردّ بين المشكّكين أصلا بإصابته بالمرض، وهم من فئة معتنقي نظرية المؤامرة، الذين يعتقدون أن الرئيس ومعاونيه ابتدعوا هذه الحكاية لهدفين، الأول هو توجيه الأنظار عن بايدن الذي بدا متقدما بالاستطلاعات الشعبية عن ترامب بفارق يتّسع باطراد، والثاني هو إثارة عاطفة الجمهور الأميركي وجذبه للتعاطف مع رئيسه المصاب، وكلا السببين غير مقنع حُكما لأي عاقل، فإمكانية التلاعب في التقارير الطبية تنعدم إلى درجة الصفر في هذه الحالة، ومرض الرئيس لا يثير استعطافا شعبيا بالضرورة، وحتى لو كان الأمر كذلك، فإن الحالة الشعورية العارضة تلك لن تؤثر على رأي الناخب الأميركي، الذي تحكمه قناعاته السياسية بالمرشح الذي سيقدّم له البرنامج الأفضل لحياته اليومية ومستقبل أولاده.

من الضرورة أن نذكر في هذا السياق، وبشكل مقتضب تقتضيه الدقة، تفصيلا طبيا عن العلاجات التي تناولها ترامب حين دخل مركز وولتر ريد الصحي العسكري، في الساعات الأولى لاكتشاف أطبائه إصابته بفايروس كورونا.

يبدو أن مضادات الأجسام المناعية ستكون أول خطوة واثقة في علاج كوفيد – 19، وهي كانت الحاسمة في تسريع شفاء الرئيس خلال خمسة أيام فقط من بدء العلاج. وبناء على طلب الرئيس، وبتوقيعه على شهادة شخصية بأنه سيتناول هذا الدواء الذي مازال تحت التجربة على مسؤوليته، فقد قام الأطباء في وولتر ريد بإعطاء الرئيس مقدار 8 غرامات من "ريجينيرون" عن طريق الوريد.

وهذا الدواء خليط من اثنين من مضادات الأجسام، التي تعمل على قتل وتحييد الفايروسات الموجودة في جسم الإنسان المصاب. أحدها مأخوذ من مصل شخص سبقت إصابته بالفايروس، والآخر مطور في مصل فئران التجارب. سبق وأن أظهر الدواء فعالية واضحة بتجربته على 275 مريضا، ومازال قيد البحث والتجريب على 2000 مريض آخرين، ولم توافق عليه منظمة الدواء والغذاء الأميركية بعد.

العلاج الثاني "ريمديزيفير" وهو دواء حديث يوقف نمو الفايروسات وتكاثرها بجرعة 200 ملغ، تؤخذ على دفعتين، بطريقة الحقن الوريدي.

معروف أن نسبة الوفاة أعلى عند المتقدمين في العمر، وكذلك عند البدناء، خاصة الذكور منهم، وهذا ينطبق على ترامب البالغ من العمر 74 عاما، لذلك تم إعطاؤه، إضافة إلى الأدوية السابقة، أدوية أخرى داعمة مثل "الدكساميثازون" وهو مضاد للالتهاب، وفيتامين د، ومركبات الزنك ومضادات الحموضة لحماية المعدة.

يبقى أن نسجل جرأة ترامب، وموافقته الخطية للخضوع لعلاج مازال قيد التجربة.

وهو موقف يضعه في موقع القائد لا الرئيس، القائد الذي يتقدم الجماهير، ويعرض نفسه لنفس المخاطر التي من الممكن أن يتعرض لها شعبه.. وهذا موقف يحسب له لا عليه، وأعتقد أنه لم يكن محظوظا فقط ليربح هذا الرهان، بل كان أيضا على دراية وعلم بحيثيات احتمالات نجاح هذا العلاج، وحيثيات خطورة عدم المجازفة به. فهو يعلم تماما عوامل الخطورة في أن يصاب "رجل متقدم بالسن" و"بوزن زائد" بفايروس كورونا، وأن نسبة الوفيات في ظل هذه العوامل هي أكثر من خمسة بين كل مئة مصاب.. وهذا رقم كبير نسبيا.

أما عن رأيي، كامرأة سورية أو عربية من منطقة الشرق الأوسط، في قضية انتخابه، فهي ودون أدنى شك مع إعادة انتخابه للأسباب التالية:

بعكس الموقف الملتبس للديمقراطي جو بايدن، نائب الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما، الضعيف والمتردد، صاحب الخطوط الحمراء التي انتهكت، هناك وضوح بارز في موقف ترامب تجاه إيران، عدونا الأول في الشرق الأوسط، إيران التي عاثت فسادا وقتلا، ليس في سوريا فقط، بل وفي العراق ولبنان واليمن. وطالت اعتداءاتها الكويت والبحرين وحتى السعودية.

إيران التي سعت في السنوات القليلة الأخيرة، ومازالت تسعى، لإحداث تغيير ديموغرافي خطير في المنطقة، عجزت عنه إسرائيل خلال 50 عاما، تغيير لو قيض له أن يتم، سيهدد المنطقة كلها بحروب قد تستمر لأكثر من مئة عام.

في ولايتهم الثانية، إذا ما تمت إعادة انتخابهم، معظم رؤساء الولايات المتحدة يصبحون أكثر حكمة ووعيا والتزاما بالقرارات الدولية وإرساء السلم العالمي. ولعل المصالحات التي بدأها ترامب بين الإمارات والبحرين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، قد تكون إشارة هامة تصب في مصلحة السلام في الشرق الأوسط.

يبقى أن يعي العرب هذه اللحظة التاريخية، فيقتنصوا الفرصة، دون التنازل عن حقوقهم المشروعة في أراضيهم المحتلة بعد 67، وثباتهم على مبادرة السلام العربية التي قبلها معظمهم ووافق عليها.

أما الحدث الثاني، فهو إصابة هيلاري كلينتون، ليس بالفايروس الصيني، بل بجائحة الآلاف من الرسائل الإلكترونية، بعد أن رفع الرئيس ترامب السرية عنها، والتي وضعت منافسه جو بايدن في زاوية لا يحسد عليها، لما فيها من معلومات موثقة ترتبط بمرحلة كان بايدن فيها نائبا للرئيس الأسبق باراك أوباما لمدة 8 سنوات.

إصابة كلينتون مازالت مبكّرة، للحديث عن تعاف، ولا نعرف أي مضاد سياسي سيساعد في تعافيها أو تعافي حزبها، الذي يمثله المرشح المنافس للرئيس ترامب، ونحن على بعد أسابيع معدودات من الانتخابات الرئاسية الأميركية.

رياح السلام مع إسرائيل ملموسة في سماء العراق

ليندا منوحين عبدالعزيز
كاتبة إسرائيلية عراقية الجذور

يشير استطلاع لمعهد زغبي الأميركي عن مؤيدي السلام مع إسرائيل في عدد من الدول العربية إلى دعم كبير لم يسبق له مثيل لدوره في إشاعة الاستقرار. تبلغ هذه النسبة في السعودية 59 في المئة، وتضاهيها في الأردن، وفي مصر 58 في المئة، تليها الإمارات بنسبة 58 في المئة.

أضف إلى هذه المؤشرات الخطاب الذي تتناقله الشعوب العربية على مواقع التواصل الاجتماعي مرحّبة بالسلام في غالبها. ومن الملفت للنظر في هذا الظرف، تطلع العديد من العراقيين إلى السلام مع إسرائيل، معبّرين عن هذه الرغبة في صور تحمل جوازات سفر عراقية وإلى جانبها عبارة مرحبة بالسلام مع إسرائيل، ناهيك عن تبادل رسائل الود والأغاني والصور مع يهود العراق في إسرائيل، الذين يحدوهم حنين عارم إلى العراق.

فما هو التغيير في الموقف العراقي الشعبي، الذي نلمسه على مواقع التواصل، مع يهود العراق وتراث العراق، وكذلك في صفحة إسرائيل باللهجة العراقية، التي يتابعها ما يقارب من نصف مليون عراقي منذ عامين ونصف العام؟

> **العراقي الواعي يرى في السلام مع إسرائيل فرصة للتعاون في مختلف المجالات التي أمست فيها إسرائيل رائدة سواء في التكنولوجيا والعلوم والطب والزراعة أو المياه**

من وجهة النظر العراقية، فإن لا نزاع حدوديا مع إسرائيل، كما أن العراق بذل الغالي والرخيص في سبيل القضية الفلسطينية، التي ظلت تراوح مكانها دون انفراجة، وأن الحل يكمن في الإطار الإسرائيلي – الفلسطيني.

لا ننسى التاريخ المشترك الذي يجمع بين يهود العراق في إسرائيل والعالم وبين غيرهم من العراقيين، من لغة وثقافة ومزارات دينية، بل الأهم من ذلك بصمات اليهود في العراق التي لا تزال حاضرة في الذاكرة العراقية، وهي صورة من الإخلاص والوفاء في كل المجالات، ولعل اسم ساسون حسقيل، الذي لا يزال رمزا للإخلاص للوطن بعد العشرات من السنين على رحيله، إثر فترات متعاقبة من شغله منصب وزير المالية خير دليل على ذلك.

ما أحوج عراق اليوم، الذي تنهش موارده جهات خارجية وداخلية، على حساب الشعب المسكين، إلى ساسون جديد!

إن العراقي الواعي يرى في السلام مع إسرائيل فرصة للتعاون في مختلف المجالات التي أمست فيها إسرائيل رائدة، سواء في التكنولوجيا والعلوم والطب والزراعة أو المياه، لاسيما وأنه يرى كيف تساهم هذه المساعدات في دول أفريقية في تحسين أوضاع المواطنين.

ومن منظور سياسي يرى العراقي أن إقامة علاقات مع إسرائيل العلمانية من شأنه أن يساهم في توازن علاقاته مع الجوار، لاسيما في تقليص قبضة إيران على العراق في كل مفاصل الدولة العراقية.

خلاصة القول، أن شباب العراق دشنوا عملية التطبيع الافتراضية مع إسرائيل، وأن استطلاعا في العراق هذه الأيام كان سيفضي إلى نسب عالية داعمة للسلام، بعد أن أشار استطلاع آخر قبل سنتين إلى أن 43 في المئة من العراقيين منفتحون على العلاقات مع إسرائيل، وهي أكبر نسبة كانت آنذاك في دول عربية لا تقيم علاقات مع إسرائيل!

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk